مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي
ISSN 1112-9255
المجلد 11، العدد 2 – ديسمبر 2024
OEB Univ. Publish. Co.

الاخباريات في شعر خيري البديري في ديوان حكايات من وحي القلق

(دراسة تداولية من منظور الأفعال الكلامية)

News in Khairy Al-Badri's poetry (a pragmatic study from the perspective of speech acts) in the collection of Tales Inspired by Anxiety

د.اسحق رحماني*، عبدالحسين الصافي الزاملي–د.محمود حيدري–د.دانش محمدي
(جامعة شيراز)

تاريخ التسليم:(2024/11/14)، تاريخ المراجعة:(2024/12/13)، تاريخ القبول:(2024/12/22)

الملخص

تندرج هذه الدراسة في إطار الاستثمار في المنهج التداولي، باعتباره أحد أهم الآليات الفعالة. ولما كان البحث في أفعال الكلام بحثاً في صميم التداولية اللغوية، وكانت التداولية في نشأتها الأولى مرادفة لأفعال الكلام، فقد كان من شأن هذه الدراسة أن تهتم بأفعال الكلام في ديوان البدري. فالتداولية تدرس اللغة في الاستعمال، كما تبحث في شروط نجاح الكلام وتحقيق غايته في موقف اتصالي محدد، وتعد نظرية أفعال الكلام أحد أهم محاورها. ويسعى هذا البحث إلى الكشف عن البعد التداولي في الخطاب الشعري لخيري البدري، من خلال استخراج أفعال الكلام، وتوضيح أنواعها، وأغراضها، وقوتها الأدائية، استناداً إلى تصنيف جون سيرل لأفعال الكلام، وهي: الاخباريات.

الكلمات المفتاحية: التداولية، الأفعال الكلامية، خيري البديري، الاخباريات.

Abstract

This study falls within the framework of investing in the pragmatic approach, as one of the most important effective mechanisms. Since research into speech acts is research at the heart of linguistic pragmatics, and pragmatics in its early origins was synonymous with speech acts, this study was intended to focus on speech acts in Al-Badri's Diwan. Pragmatics studies language in use, and also examines the conditions for the success of speech and achieving its purpose in a specific communicative situation, and the theory of speech acts is one of its most important axes. This research seeks to reveal the pragmatic dimension in Khairi Al-Badri's poetic discourse, by extracting speech acts, clarifying their types, purposes, and performative power, based on John Searle's classification of speech acts, which are: declarative.

Keywords: Pragmatics, speech acts, Khairy Al-Badri, declaratives

*المؤلف المراسل: الاسم الكامل، الإيميل: esrahmani@yahoo.com

المقدمة:

تعد التداولية منهجا جديدا من مناهج الدراسات اللسانية الحديثة فظهرت وتطورت في السبعينيات من القرن العشرين، إبان الانقسام التاريخي الهام في مسار المعرفة المعاصرة على يد أوستين ثم طورها تلميذه سبيرل، وقد ظهرت كردة فعل على الاتجاه البنيوي وعلى ما أكتنفه من قصور حيث ركز على دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، وفي صورتها الآتية بعيدا عن السياق، فاهتمت التداولية بالكلام والأداء أو ما يعرف بمقاصد المتكلمين من خلال دراسة اللغة وكيفية فهم المتكلمين بعضهم بعضا، فجمعت بهذا بين التركيب والدلالة والسباق فكانت عبارة عن امتداد لجهود الاتجاه الوظيفي التواصلي لأنه يعنى بدراسة اللغة في السباق وأثناء الاستخدام. ولقد ارتبطت التداولية بتحليل الخطاب حيث تمكنت من تقديم تفسير ناجح لعملية التخاطب بعد أن أخفق الاتجاه البنيوي في ذلك متجاوزت دراسة اللغة إلى دراسة الخطاب والعناصر الخارجية المحيطة به من زمان ومكان التخاطب والمتكلم والمخاطب لكي توضح مقاصد المتكلم والمعنى المراد إيصاله للمخاطب.

فالتداولية إذن درس لغوي ثري جدا وذلك بما قدمه من أفكار ومفاهيم ورؤى جديدة حيث ساعدها على ذلك ارتباطها واتصالها بالعديد من الدراسات الأخرى على غرار الدرس اللغوي الحديث، كالمنطق والسيمياء وعلم الاجتماع وغيرها.

وهذا ما جعل الباحثين اللغويين يهتمون بالجانب التداولي ويمنحونه حيزا في دراساتهم ومؤلفاتهم وحتى أبحاثهم المختلفة، كالنحوية منها والبلاغية وغيرها، فتوصلوا بذلك إلى نتيجة مفادها أن للبعد التداولي أهمية بالغة في تفسير المؤلفات والأعمال الشعرية والأدبية، وربطها بالمقامات الخارجية.

وكان لهذا لفرع الحديث أي التداولية اهمية كبيرة في تطوير علوم اللغة، فأصبح علما قائما بذاته له مناهجه واتجاهاته يعتمد على: الافتراض المسبق، الاستلزام الحواري، الاشاريات، أفعال الكلام، وتعتبر هذه الأخيرة هي محور دراستنا باعتبارها من أهم النظريات الحديثة التي شغلت الباحثين، وتعتبر جوهر الاستعمال ولبه، وهي من أهم مجالات التداولية. إن الاتساق يتحقق في ظاهر النص بالنظر في الأدوات الشكلية والروابط النصية التي تساهم في تعالق الأجزاء والوحدات المختلفة للنص حتى تمنح للنص نوعا من التلاحم والتماسك. يعد الاتساق بمثابة الركيزة التي تستند عليها اللسانيات النص، كما أنه يعد من أبرز المعايير النصية التي لا يمكن التخلي عنها. تشترك الإحالة مع عناصر الاتساق فهي تعد من أهم الآليات التي تحقق التماسك وذلك لتنوع أدواتها وكثرة تواجدها في النصوص

نشأت البراجماتية من بحوث الفلسفة التحليلية التي تدرس وظائف وخصائص الألفاظ، وقد نشأت نظرية أفعال الكلام من خلال جهود الفيلسوف الإنجليزي جون أوستن (1911–1960) في محاضراته

(النظرية العامة لأفعال الكلام) وازدهرت على يد (جيه إل أوستن) وتلميذه الفيلسوف (جون سيرل) ومواطنته (باولا جريس). وقد قسم أوستن أفعال الكلام حسب مشاركتها في سمات وظيفية محددة إلى خمس فئات. وقد قدمت براجماتية أفعال الكلام منهجية لغوية جديدة لتحليل الخطاب، حيث نظرت إلى الكلام باعتباره فعلاً لغوياً (فعل كلام) تدل عليه نية المتكلم. وتهدف هذه الأفعال إلى إنجاز أشياء بالألفاظ، أو خلق أفعال ومواقف اجتماعية وشخصية بالألفاظ، وكل منها يهدف إلى التأثير على المخاطب لحمله على القيام أو الترك، أو البت في حكم، أو تأكيده، أو الشك فيه، أو نفيه، أو الوعد، أو التهديد، أو إبرام عقد، أو فسخه، أو التعبير عن حالة نفسية معينة.

إن غاية هذا البحث هي: استثمار نظرية فعل الكلام في قراءة التجربة الشعرية للشاعر خيري البديري، ومحاولة معرفة نظرية أفعال الكلام وتطبيقاتها في شعر شاعر عراقي ومن هذا المنطلق جاء هذا البحث الموسوم بـ: الأفعال الكلامية في شعر خيري البديري دراسة تداولية.

الإخباريات

الغرض الأدائي فيه أن ينقل المتكلم حقيقة بدرجات متفاوتة من خلال حالة تعبر عن هذه الحقيقة وأفعال هذا القسم كلها تحمل حقيقة الكتب، واتجاه المطابقة فيه يكون من الألفاظ إلى العالم، وفي هذا القسم أيضاً أفعال حكمية يستطيع المتكلم من خلالها إصدار أحكام وتوضيحات لتسهيل عملية الحكم عليها بأنها صادقة أو كاذبة. (بوغادي، 2007، 76). الأفعال الكلامية الإخبارية هي أفعال كلامية تربط المتكلم بحقيقة ما يقال، والغرض من هذه الأفعال هو الحديث عن شيء قد يكون حالة أو مشكلة، وهي تغطي جميع أبعاد التقييم التي تشمل الصواب والخطأ، وتشمل هذه الفئة: التصريح، والتأكيد، والاعتراض، والبداية، والخاتمة. بمعنى آخر فإن الأفعال الكلامية التقريرية تشرح الحي وتشمل وظيفتها التصريح بشيء ما، والإبلاغ، والإخطار، والشرح، والدفاع، والرفض، وما إلى ذلك. (برم، 2009: 76) ويمكن تفسير هذه الوظائف على أن وظيفة التصريح هي أن يقول المتكلم شيئًا، فيعتقد المستمع أنه كلام المتكلم، ووظيفة التأكيد عندما يكون المتكلم صادقًا في إلقاء الكلام بحيث يكون المستمع متأكدًا مما يقوله، ووظيفة الاعتذار عندما يقول المتكلم الحقيقة لا تزال غير واضحة، ووظيفة المشتكي هي الوظيفة التي تحتضن الإصبع، ويمكن تحديثها بسبب المعاناة والألم وخيبة الأمل وما إلى ذلك بحيث يتعاطف المستمع معه، ووظيفة الاستنتاج هي عبارة في شكل رأي بناءً على ما هو موصوف في المقال بشكل أقصر. (بلخير، 2005: 54) وفي تقدير آخر فإن وظيفة التبليغ والإبلاغ عن القصد هي أنه عندما يقول المتكلم شيئاً فإن المستمع يعتقد أن شيئاً قد حدث، وفعل النفي والرفض يعني عندما يقول المتكلم شيئاً فإن المستمع يعتقد أن هناك سبباً لعدم التصديق، وفعل الموافقة والإقرار

بالنقطة عندما يقول المتكلم شيئاً فإن المستمع يعتقد أن ما يقال يختلف عما يريده ويختلف عن الرأي الأصلي. (بوهادي، 2009: 100)

الاخباريات في الديوان

للمواقف والأحداث التي يمر بها الإنسان تأثيرا مباشرا في حياته، وينتظم التأثير في جوانب اجتماعية، وأخرى ذاتية، كالخوف والغضب، والسرور والمحزن والحب والكراهية، والصبر والجزع، وما إلى ذلك من جوانب شخصية الفرد التي تدخل ضمن الجانب العاطفي والانفعالي.

وان الشاعر خيري البديري كان من الشعراء الذين يبثون الامهم ومعاناتهم أحاسيسهم وخلجات انفسم في أشعارهم التي جاءت تجسيدا وتصويرا لما الم به من مصائب ونكبات قرحت، فؤاده وأرقت دموعه مستقبلها بالتصبر تارة، وبالتفجع تارة أخرى، فكان تصويره هو الآخر نادراً ومن خلال الابيات الاتية نلاحظ ان الشاعر قد وطن نفسه على التحمل والتجمل، عند حلول المصائب ومساس المكاره، فجاءت أشعاره ناطقة بجميل الصبر، ونافع الحكم لكل جيل ومن ذلك قوله في قصيدة وشاية المرآة:

ويسمع صيحة
عد قبل يوم
يلاقي المرءُ ما كسبت يداه
ومالعمر
سوى خيط لجرح
يشد سنينهُ وهِمُ أراهُ
شباب ثم شيب ثم عقد
على حين يحل او يفلتاهُ (البديري، 2023: 8)

فلا شك أن دوام الحال من المحال؛ لذا فإن الشاعر يؤكد أن الدهر دائم التقلب بين الشباب والشيب ، ولقد جعل الشاعر العمر كانه خيط يشد به الجرح، وان كل انسان اعماله منوطة بما ارتكبت يداه ولعله أي الشاعر دأب أن يجعله منهج لحياته وحياة الاخرين وهو كلام صحيح لاغبار عليه فكأن الشاعر هنا يستخدم الحكمة التي جاءت في ابياته هذه ، تتعاقبه الأجيال، وقد عمد الشاعر في مزج الثنائيات (شباب –شيب) (يحل –يفلت) وهو تداخل ضدي يشير إلى مجاهدة النفس بأسلحة مختلفة منها النصيحة والصبر وغيرها، ويكشف عن صراع داخلي وازمات نفسية يعانيها الشاعر ويحاول تناسي ذلك، ولكن هيهات هيهات، فهل نحن إلا بشر؟!. ومن الملاحظ ان الأفعال لها دور كبير في توضيح المعاني العميقة والمقصودة في هذه الابيات فقوله (يسمع، يلاقي، يشد، يحل، يفلت) نلاحظ

ان هذه الأفعال أعطت معاني مقصودة وهي عدم بقاء الحال على ماهو عليه وان أهمية انجاز الفعل فَي النص الشعري وضعنا الشاعر فَي نص آخر تتمحور حول قضية تلامس الذات البشرية فَي التحول من حالة الى حالة أخرى، قد تكون من حالة اليسر الى العسر او من حالة الحياة الى الفناء.او من حالة الشباب الى المشيب وهي صورة تبين حقيقة الدنيا، وتعكس لنا مدى استعانة الشاعر بربه ومدى إيمانه بالقدر خيره وشره وحلوه ومره. وان النفس دائمة التقلب –كحال الدنيا تهدأ تارة وتثور أخرى، لذا فقد كان الشاعر دائم الحذر منها، حتى لا تدفعه إلى شقاء أبدي لا تحمد عواقبه، فراح يناديها بنداء دوت أصداؤه في صدره، وأسمعتنا كلماته اهتزازات شعوره.

ويقول في قصيدة فانوس الحقيقة:

كا عيش سوى
المذلة يصفو
وحياة الكريم في الذل حتف
زاغ ضوء الكلام
وارتد قول
مذ بدا فانوس الحقيقة يغفو
كيف تصفو لنا
الحياة وفيها
سارق مبتز يداريه جلف .(البديري، 2023: 50)

إنه نداء ناصح أمين، يحمل النفس على جميل التصبر والتحمل في مواجهة الأزمات، والانذارات الشديدة لها من السقوط في جحيم التفجع والجزع، حيث جاءت الأبيات في مجملها تنم عن شاعر ألم به –من الخطوب والنوازل– ما كادت له نفسه أن تفتن أو تذل، ولكنه تماسك صابرا جلدا كالجبال الراسيات، ومع ذلك فهو متوجس خيفة منها، وفي صراع طال أمده معها ، كما أنبا عنه احتدام الحوار الداخلي أو ما يسمى (المونولوج) الذي منح القدرة على إبراز، شخصية الشاعر والكشف عن حال نفسيته المكلومة، فضلا عن الحوارية والالتفات يثري ذهن المتلقي ويقوي المعنى المراد ايصاله كما وانها تزيد المعنى ثراء ونماء. (احمد، 2007: 88)

فالأفعال الكلامية هنا في هذه الابيات (يصفو، زاغ، ارتد، بدا، يغفو، يداري) لها قيمة إخبارية نصحيه ان الدنيا لا تبقى على حال واحدة وانما تجدها في يوم هادئة وتجدها في يوم اخر ثائرة، حالها كحال النفس المتقلبة.

أخذت الأفعال التقريرية نصيبها في هذا الشاهد، وجاءت بصيغة المضارع (ربح، قبل، مشى، ركب)، ويشعر قارئ هذا الخطاب الشعري أنه يدخل ضمن التقرير لأنه صدر عن متكلم ليصل إلى مخاطب، وهذه الأفعال التقريرية الصادرة عن الشاعر (المتكلم) رسخت فكرة في ذهن المتلقي (أي المخاطب) في حملها معنى على مستوى الصيغة الاتصالية، وهو معنى التأكيد والخبر، وكان مستوى التركيز في هذه الأفعال قائماً على القوة الأدائية الكامنة، فيوضح الشاعر خيري البدري بهذه الأفعال كيف حكم الظالمون هذه الأرض وخذلو العباد والأمة، ولا يبالون بشؤون الرعايا، همهم الوحيد الجلوس على العروش في محاولة يائسة لممارسة الظلم، وكل العباد يعيشون تحت سلطانه وأوامره، ويفعل بهم ما يشاء، فلا يصعب أن تجد الأبرياء في السجون واللصوص يستمتعون بسرقاتهم.

ولا يزال الشاعر يرمم تصدعات نفسه التي انهزمت، وآماله التي اندثرت، فيواسي من داهمته الخطوب مواساة حكيم خبير بتجارب الحياة، ويحذر من غررته الدنيا بدوام نعيمها، فانجر ورائها غير مكترث فيقول في قصيدة فانوس الحقيقة: (البديري، 2023:86)

نضب النهر حسرة واكتئابا
منذ غش الصياد
واحتال جرف
يا لهذي البلاد
كم سار فيها
ظالم والاذى بها لا يكف
البريء انتهى
مدانا بسجن
بينما سارق السنابل معفو
لم يعد امنا
بها الورد لما
باغتته عند الصباح اكف. (البديري، 2023:51)

يواصل الشاعر في هذه الابيات الشعرية اظهار الامه وانفعالته النفسية وجلجات قلب مكلوم من هذه الظروف المريرة القاسية التي عايشها الشاعر ، نرى هذه الأبيات تفيض بالكم من الافعال الكلامية الواردة في الابيات الأثر الكبير في بيان مقاصدها الحكمية الإخبارية وربما هي حققت الإنجاز المرجو في الابلاغ والايضاح. (احمد، 2007: 79)

وهذه الأمور تكشف عن عمق المأساة في قلب الشاعر، ونلاحظ انتقال الشاعر من فكرة الى أخرى في نفس المقطع الشعري ، ولتأكيد هذه المعاني وتقريرها في ذهن المتلقي؛ نلاحظ ان الأفعال الكلامية الواردة في النص الشعري (نضب، غش، سار،يكف،انتهى،يعد، باغت)، لقد كان الشاعر رهيف الحس، تستشف إنسانيته من بين انثلامات وجدانه، الصادقة كل الصدق في التعبير عن اهتزازات شعوره ووكانت أصداؤها قوية في نفوس من واساهم وسلاهم عند نزول الكوارث في اثناء كلماته.

أخذت الأفعال التقريرية نصيبها في هذا الشاهد، وجاءت بصيغة المضارع (ربح، قبل، مشى، ركب)، ويشعر قارئ هذا الخطاب الشعري أنه يدخل ضمن التقرير لأنه صدر عن متكلم ليصل إلى مخاطب، وهذه الأفعال التقريرية الصادرة عن الشاعر (المتكلم) رسخت فكرة في ذهن المتلقي (أي المخاطب) في حملها معنى على مستوى الصيغة الاتصالية، وهو معنى التأكيد والخبر، وكان مستوى التركيز في هذه الأفعال قائماً على القوة الأدائية الكامنة، فيوضح الشاعر خيري البدري بهذه الأفعال كيف حكم الظالمون هذه الأرض وخذلو العباد والأمة، ولا يبالون بشؤون الرعايا، همهم الوحيد الجلوس على العروش في محاولة يائسة لممارسة الظلم، وكل العباد يعيشون تحت سلطانه وأوامره، ويفعل بهم ما يشاء، فلا يصعب أن تجد الأبرياء في السجون واللصوص يستمتعون بسرقاتهم.

فالافعال الكلامية هنا حققت غرضا انجازيا وهو انقلاب الموازين وسيادة الباطل على الحق لذلك نجد الحرقة والالم والمعانات في شعر هذا الشاعر المحب لوطنه.

في قوله في قصيدة يا حريمة:

أفتش في (الداربين) القديمة
عن الماضي وذكراه الحميمة
تبعت خطاي
كي ألقى صبيا
حكايته بذاكرتي مقيمة
مررت على الديار فحدثتني
عن الصبيان
وامرأة كريمة
وعن شيخ تؤرقه دروب
وخانته عواقبها الوخيمة. (البديري، 2023: 9)

ولابد من الإقرار بأن في بداية الأبيات الشعرية حدث كلامي يتشكل من فعل كلامي أو نواة أو بؤرة، ويتحقق هذا الفعل البؤري من خلال إنجاز أفعال كلامية أخرى تربطها علاقة ذكرها البدري في الفعل. ويبدأ النص بتحديد هويتين للكلام، الأولى تتعلق بذات الشاعر، ونلمحها في قوله (افتَّش) التي يدل عليها الضمير المستتر (أنا)، ثم يوجه الكلام بتحديد الهوية الثانية في ضمير المتكلم (ت) مرتين في الفعل (تبعت) والفعل (حدثني)، مما يوسع دائرة المخاطب، خاصة أنه يتحدث عن (الصبيان والعجوز والشيخ)، وهي قضية محورية تهم الجميع، وهي (الذكريات) و(الكبرياء). لكن هذا التمويه يختفي في نهاية المقطع، إذ يتبين أن الشاعر لا يخاطب فرداً بعينه، بل إن الخطاب السابق خطاب يتسع للتذكير بفداحة الخطيئة، وهنا يكمن إنجاز الفعل الكلامي في النص الشعري ضمن عملية الاتصال. إن لعبة إخفاء المتحاورين داخل النص على هذا النحو هي أول أفعال الكلام غير المباشر، فلماذا حرص الشاعر في بداية نصه الشعري على أن يكون هو المتكلم، فهل يتوق إلى إنجاز فعل بهذا السلوك؟ وما هي القوة الأدائية لهذا الفعل السلوكي؟ (أحمد، 2007: 80).

الموضوع المشترك هو (الذكريات والفخر) ولا مفر من الخلاص مما أدى إلى ظهور إمكانية عدم تحديد المخاطب، ومن خلاله أنجز الشاعر فعلاً كلامياً غير مباشر يحمل قوة أدائية إخبارية، أي أنا معني كما أنت بالخطاب، وقد تحقق هذا الفعل من خلال طريقة بناء النص التي بدأت بالذات (ضمير المتكلم) وأخفت المتحاورين، بعد هذا الفعل الكلامي نجد الشاعر يتجاوز الإنجاز المباشر إلى إخفاء سلسلة من الضمائر المخفية في (تكلمت معي، خانته، أزعجته) وكل ذلك يتضافر لبناء فعل كلامي غير تقريري مرة أخرى، ونظراً لأهمية إنجاز الفعل في النص الشعري يضعنا الشاعر في نص آخر يدور حول قضية ملامسة الذات الإنسانية في التحول من الحياة إلى الموت، ساعياً إلى نشر سلسلة من الأسئلةيبدؤها بقوله:

ليتني طفل صغير سارق
قبلات
صقلت في كل خد
كيف لي اخفي
حنيني والجوى
كيف لهفتي تفشي من وجد
كيف اخفيها وشعري شاهد
هو من يفضح

سري يوم غد.(البديري، 2023: 59-60)

لقد صاغ الشاعر من هذا النص سلسلة من الاستفهامات، أولها يشكل فعلاً كلامياً مباشراً، ومن الواضح أننا لا ننتظر جواباً على هذا السؤال، وبذلك انحرف الاستفهام عن معناه الحقيقي لخدمة أغراض بلاغية أخرى، ومن الواضح من هذه الأسئلة أن الشاعر يحاول استفزاز المخاطب للإجابة عليها، ويحاول إقناعه بمضمون السؤال حتى تكون الإجابة فعّالة من خلال قيمة السؤال المطروح . وقد خلقت طريقة طرح الأسئلة إيقاعاً مع عمق الارتباك الذي خلفته الأسئلة (كيف أخفي؟)، (كيف ينتشر شوقي لمن يجده؟)، (من يفضح سري غداً؟) .وقد سار هذا المستوى الإيقاعي الذي خلقته الأسئلة بوتيرة أدت إلى إنجاز فعل كلامي غير مباشر أعلن نهاية الأسئلة .وقد تشكلت البنية السابقة للنص من فعل كلامي أنتج فعلاً كلامياً أدائياً إخبارياً اتخذ شكل سؤال وتضمن قوة أدائية إخبارية تدل على الشوق والحنين والحب .إن الفعل الأدائي الإخباري الذي تم من خلال الأسئلة المطروحة يحمل قيمتين أدائيتين (عطية، 2007: 98) القيمة الأولى هي القيمة الاستفهامية المحققة من الشكل، والقيمة الثانية هي القيمة الإخبارية المحققة من المضمون .يحاول الشاعر من خلال هذه القيمة وهي قيمة تشويقية تتخذ حضوراً استفهامياً في ذهن القارئ، بمعنى الحنين والشوق والحب والولع .وقد أنجز الشاعر من خلالها فعلاً تشويقياً مؤثراً يحث على البحث عن إجابات للأسئلة المطروحة ويعطي المخاطب بعض مفاتيح تلك الإجابات .وهنا تبرز قيمة الفعل الأدائي الذي يشير إليه الشاعر في ثنايا شعره. (احمد، 2022: 80)

لقد كان الشاعر رهيف الحس، تستشف إنسانيته من بين انثلامات وجدانه، الصادقة كل الصدق في التعبير عن اهتزازات شعوره ووكانت أصداؤها قوية في نفوس من واساهم وسلاهم عند نزول الكوارث بهم، ومن ذلك قوله :

دم ظافر أدرك الصلوات
ليبقى على الدين قبل الفوات
ويزرع في خصر كل الظلام
مواكب رعب
تهز الطغاة
وتأوي سبايا الظماءاليه
فيوحي اليها معاني الثبات. (البديري: 2023:53).

نلاحظ ان الابيات تتطق بالتعزية الخالصة، وتستلهم منها أسمى آيات الصبر واليقين، بل وتبشر بانبلاج صباح يتدفق منه الخير فعاقبة الصبر الجميل جميل، إذ هي المواساة الحقيقية التي تنفرج بها الكروب، وتزول معها الهموم، وتكون بردا وسلاما على القلوب، فتزداد قوة بعد ضعف، ويقينا بعد ارتياب، وثباتا بعد تزلزل، خاصة إذ كان الشاعر أعقبها بمثالج تطفئ لهيب الجزع، هنا الأفعال الكلامية الإخبارية (ادرك، يبقى، يزرع، تهز ،تأوي،يوحي) قد احسن الشاعر اختيارها في هذا الموضع لأنها جاءت لرفع الهمم واستنهاض المستضعفين وشحذ الهمم ولتكون خارطة طريق لكل من أراد ان يعيش بحرية فأحدثت فعلا إنجازيا قويا ومؤثرا في نفس الوقت نفسه.

وقال:

الفنا القتل فينا والحدادا
بأرض صار ديدنها الزنادا
حكايات الردى
أضحت سطورا
بأفواه البنادق كي تعادا
فترسم في
دفاترنا جنودا
ودبابات غدر او عتادا
وقتلى ها هنا
وهناك ذئب
تربص في الحواف لسندبادا. (البديري، 2023: 57).

في هذه الابيات نرى بوضوح قصد الإبلاغ، كما تحقق الغرض الانجازي في نقل الوقائع بأمانة، ذلك أن الشاعر البديري يصفُ واقعًا معيّنًا عاشه، فقد وظّف الأفعال الماضية (الفنا، صار ،أضحت،تعادا،فترسم،تربص) لينقل إلى جمهور المتلقين مشاهد بعينها تتمثل في كثرة القتل ومشاهد الدمار والموت الذي حل بهذه الأرض الطيبة، كما يرسم لنا الشاعر لوحة فنية حزينة للأرض المعطاء والشعب الكريم الذي اصبح تتناهشه ايادي الغدر والمتربصين به، كما يخبر الشاعر عن الوضع الجديد الذي فرضه الواقع المرير ،يستوقف الشاعر هنا المتلقي ليندب وطن ، والشاعر هنا يبكي على وطن تناهشته الذئاب البشرية قبل أعدائه.

وهو بالفعل التقريري الإخباري ينجز فعلا كلاميا رائعا، ويعطي قوة إنجازية تأثيرية عظيمة، حيث يرسم صورة محزنة لحالة الوطن المنكسر، حيث ان الشاعر هنا يهرب من الواقع المرير إلى الأسطورة القديمة، أو يهرب إلى الخيال الشعري، فالبكاء على الوطن إنما هو البكاء بين يدي الشعر أو بين يدي الشاعر الذي يرى بحاسته ما لا يراه الآخرون. وكل هذا البكاء إنما هو عبارة عن مسكنات لا تجدي. فماذا يفعل الشعر أمام الضياع والخيانة والغدر؟ وهل ثمة من سمع للشاعر أو استجاب له؟

إن تبني الشاعر لقضايا أمته ، جعله ينقل مظاهر الواقع بكل آلامها وجراحها، وقد نجح خيري البديري في هذا ، وحقق الغرض الإنجازي المبتغى ، حيث صارت المطابقة بحسب تصنيف سيرل من الكلمات إلى العالم ، وفعلا لقد عاشت كلمات البديري حية في كل عصر ومصر ، معبرة وطائرة بالغرض الإنجازي من مكان لمكان وزمان لزمان.

يسرد الشاعر البديري هنا للسندباد التي تمثل الواقع الافتراضي الخيالي ، فحين لم يجد من يستمع إليه في أرض الواقع ، هرب إلى الخيال ، يسرد أمام شخصية ميثولوجية صنعها في عالمه الخاص ما كان حقيقة نازفة مؤلمة في واقعه الكنيب ، فهو يستجير بالخيال من الواقع : عله يجد في الخيال أو التنفيس عن مشاعره المكبوتة من يحنو عليه أو من يستمع له ، لقد حقق الشاعر غرضه من التنفيس عن تلك المشاعر المحترقة في صدره.

لقد أخبر البديري بالأفعال التقريرية عن وقائع كثيرة مأساوية ومنكسرة، فهنا صور متلاحقة تدمي القلب والعين) الفنا القتل فينا والحدادا، بأرض صار ديدنها الزنادا، حكايات الردى، أضحت سطورا، بأفواه البنادق كي تعادا، والجنود القتلى،وبهذا استطاع البديري تحقيق الغرض الإنجازى والتأثيري ، فقد حفز المتكلم على نقد واقعه اليخرج الآن أو فيما بعد من هذا الذل المهيمن والشامل.

ويقول أيضا:

واغفر الطيش

وما زاوله

في ربيع

العشق أيام انطلق. (البديري، 2023: 26)

يحكي البدري عن واقع يراه ويعيشه في العالم الخارجي، وينقله إلى المتلقي وكأنه أمام هذا المشهد المتمثل بالحب والربيع، وقد استخدم الفعل المضارع (اذهب، اغفر) المناسب لاستمرار الحالة، فجاء الفعل هنا بتصوير بديع وجميل. فالحب والعاطفة من أسمى الصور الإنسانية، فهو اتصال واعي وبصيرة صافية صافية، وكثيراً ما يكون نتيجة القلب، وكل ما يصدر عنه له قيمة عليا، فالحب يشرق

من الروح، وأينما ارتفعت الروح حلقت معها، والحب غالباً ما يظهر في القلوب، بأشكال وألوان متشابهة، وله صفات وأحوال ومظاهر مشتركة، لكنه يظهر في كل نفس بصورة خاصة ويتلون بلونها؛ لأن الأرواح على عكس الغرائز، لكل منها لون وارتفاع وبعد وطعم ورائحة خاصة بها، ويمكن القول إن هناك حباً خاصاً بكل نفس.

وبذلك استطاع البدري أن يحقق الغرض الخبري المنجز والمؤثر،لقد صور لنا نظرته للحب والعاطفة وكيف أن العاشق المتهور يصبح بعد الحب شخصاً آخر، لأن حبه في قمة صعوده، يتجاوز حدود العقل ويأخذ الفهم والتفكير من الأرض إلى قمة الإشعاع العالي.ويقول:

اتى بغداد

يقصدها بقلب

يغازل نخلها صبا اتاها

فما وجد الحبيبة، قد سبوها

كجارية يغطيها عُراها (البديري، 2023: 178)

ان توظيف الشاعر للفعلين الكلاميين (اتى يقصد) للتعبير عن الحالة التي يعيشها الشاعر ودليل على معاناته وحالاته النفسية وانثلامات نفس مكلومة لما يشاهد ويرى من ظروف وواقع مرير، فقد عبر عن طريق هذه الأفعال عن المه ومعاناته وعن رغبته في تحقيق أمر معين، ثم إنه استشهد بعدها (فما وجد الحبيبة، قد سبوها كجارية) أن الهوى في حقيقته مزيج دائم بين الحزن والفرح والمرء دائم التقلب بين الحالين في حياته حيث انه لم يعثر على الحبيبة بل على العكس فقد سبيت. ونجد البديري يخبر عن واقع آخر عن طريق توظيفه لأفعال في زمن المضارع أيضا (يقصدها ويغازلهاويغطيها) ينقل من خلالها لذهن المتلقي صورة معينة، اذ ان الشاعر كأنه يجعل من بغداد كانها حبيبته التي جاء ليبحث عنها ولكنه لم يجدها فان الزمن الذي فعل فعلته ببغداد لم يكن رحيما بها، فالشاعر هنا رسم لنا لوحة باستخدام الأفعال الكلامية الإخبارية.

وقال:

على كتف الفراق

زرعت يأسي

حسيرًا أقطف الذكرى بهمس

على جسر الهموم

مشيت عمرا

لأغرس بالخطى وسواس هجسي
أسائل ذكرياتي كيف مرت
على شجر الكلام
بدون ورس
أقايض حزني المعهود سرا
بأنقاض السعادة
فوق بؤسي (البديري، *2023*: 38)

الشاعر البديري يخبر هنا عن واقع يصف فيه العالم الخارجي عن طريق استعمال الأفعال الكلامية بصيغة الماضي (زرعت، اقطف، مشيت، اغرس، مرت) والأبيات من قصيدة في وصف اليأس والحزن إذ يشير من يقرأ هذه القصيدة سيجدها تدل على يأسه وحزنه مستعملا الفعل الماضي ؛ ممّاً يشعرنا أنً الجملة الشعرية قصد بها الشاعر عاملاً اجتماعيا، اوسياسيا او اقتصاديا، وهي نظرة مستقبلية من الشاعر لما حصل او سيحصل في مجتمعه فيما بعد، وضحت فيما استعمله الشاعر من العبارات وتفاعله مع ظروف بلده الصعبة، تحيل الضمائر في الابيات الشعرية الى إحالة داخلية بعدية فالضمير (الياء) والتي تحيل الى الزمان فهذه الضمائر اماطت اللثام للمعنى المبهم الى الظهور والبروز فالشاعر يريد ان يقول ان اليأس والحزن والبؤس قد سيطرت علي لما اراه واشاهده.

ان كمية الحزن واليأس في شعر الشاعر نلاحظ فيها اندماج الشاعر في المجتمع ومعبرا عن لسان الشعب وفاهما للحقيقة، وهو فعل جازي يطبع الفعل الكلامي بمجرد تلفظ المتكلم بملفوظات معينة، فقد تجاوز حدود البنية اللغوية إلى محاولة تفسير الواقع المرير، ومن ذلك عندما قال

ويقول:

وما العمر
سوى خيط لجرٍ ح
يشد سنينه وَ هم أراه (البديري، 2023: 8)

يخبر الشّاعر البديري عن حقيقة الزمن والعمر ، ان بقاء الحال من المحال، حيث وظّف الفعل المضارع (يشد) ليفيد التّقرير والإخبار، لينقل إلى ذهن المتلقّي صورة معيّنة عن واقع معيّن عايشه، "إنني أكبر وأنفق جُل وقتي كي أفهم الزمن، فلا أفهمه، لذا أشعر أنه عدوي الخفي الوهمي الذي يضرب دون أن يكون باستطاعتي درء ضرباته عني. لا أعرف كيف يمضي؟ ولِمَ يمضي؟ وكيف أننا نحيا فيه ونعجز أن ندركه كما ينبغي له؟ أهو شيء يمرُنا ونمرُه، أم حال تعترينا؟ وإذا مضى فإلى أين

يمضي؟ أين تذهب كل أعوامنا التي تغادرنا؟ ولِمَ لا يمكن أن نحتفظ بها في مكان ما كثيابنا وأشيائنا العتيقة؟". فدذا اخبار من الشاعر عن ضياع سنين العمر، فقد انجز الفعل الكلامي إنجازا لفظيا كلاميا.

ويقول في ابيات أخرى:

أفتش في (الداربين) القديمة
عن الماضي وذكراه الحميمة
تبعت خطاي
كي ألقى صبيا
حكايته بذاكرتي مقيمة
مررت على الديار فحدثتني
عن الصبيان
وامرأة كريمة (البديري، *2023*: 9)

هنا نلاحظ ان الأفعال الكلامية الواردة في الابيات الشعرية وهي (افتش، تبعت، مررت) أظهرت لنا حالة نفسية مرتبكة يعيشها الشاعر، وواضح أن اللوم والإنكار هنا هما من النفس للنفس، فالشعور بخيبة الأمل يكون عظيم الخطر، قوى الأثر لدى من يتحسسون في أنفسهم تميزاً أو تفرداً لم يتفهمه المجتمع –شأن الشاعر البديري– إذ يخلف في النفس حيرة لا تنفك عنها ويترك فيها ندوباً على الأيام لا يندمل أثرها ومما يترجم هذا الذي ارمي اليه أن شاعرنا هنا يستخدم أسلوباً شعرياً، يصور تعلماً واضطراباً نفسياً يجعلنا نقف على بعض هذا التململ لأنه يرسم الشاعر وقد فقد شيء عزيز وغالي – بأثر الشعور بخيبة الأمل– القدرة على التحمل وقد يكون إعلان عن الحسرة والضعف والتأزم، وهو يشى لنا بحالة الاضطراب والتململ، ولكنه في الوقت نفسه ، هنا الأفعال الكلامية الإخبارية أنجزت معنى كلامي واضح وصريح اعلان الحسرة على الماضي الجميل والضعف والتأزم من قادم الأيام.

ويقول:

تحدثني الشوارع عن بلاد
تحاصرها
الخطايا والنميمة
وعن أرض
تزاحم في قراها

تماثيل وآلهة رجيمة

وعن مدنٍ حماة الدار فيها لصوص

يسرقون بلا حشيمة

وجدت نخيلة

كانت زمانا

تظللنا وتمرتها تميمة

تراقبنا صغارًا حين نلهو

فأما الآن

قد باتت يتيمة (البديري، *2023*: 10)

عند النظر الى هذه الابيات نلاحظ ان الأفعال الكلامية الواردة في الابيات الشعرية وهي (تحدثني، تحاصرها، تزاحم، يسرقون، وجدت، كانت، تظللنا، تراقبنا، نلهو، باتت) اظهرت لنا أجواء نفسية يعانيها الشاعر من كيد الرجال وكيد الزمان فهؤلاء الناس قد طبع على قلوبهم الغدر والحسد، وليس هناك ما يشغلهم سوى الغدر والسرقة من هذا الوطن المعطاء ، فهذا الشعور كان شعوراً ملازماً للشاعر والذي زاد في حدة هذا الإحساس هو الغربة في داخل الوطن نتيجة لهذه الظروف المأساوية كما ذكرنا فجعله ذلك يشعر بأنه غريب عن الناس .

كل هذه المعاني المشحونة بالطاقات الانجازية، هدفها الأساسي هو إيقاظ شعلة الحنين إلى الماضي الجميل، ومعرفة حجم وكمية اليأس والحزن والمعاناة، فهذه الأبيات مليئة بالدلالات التي تدور كلها حول اقتناع المتلقي بما يقوله الشاعر، وبالتالي يمنح الأخير الشاعر مواهبه ليعيش في هذه الأجواء التي رسمها لنا الشاعر بريشته الرسام. لقد أدى الفعل الانجازي المذكور وظيفته الانفعالية بالتأثير على المتلقي، وهذا واضح من خلال موضع العبارة أو عناصر الموقف، وهذا لا يدل إلا على التأثير الذي نشأ عن الفعل الانجازي بقوته الاتصالية في نقل مضامين وإمكانيات هذه الطاقة الانجازية وهدفها الاتصالي. والذي تظهر فيه فلسفة البديري وحكمته في استخدامه الحجج العقلية والبراهين كوسيلة لتوصيل الفكرة واقناع المتلقي بطرحه لابياته الشعرية وهي تحمل مضامين يريد ايصالها الى المتلقي.

ويقول أيضا:

تقول لي الأزقة:

عد وضمد جراحك في بلاد مستقيمة

فلن تنجو

وحولك قد توارث

وساوس ناظرين إلى جريمة

فكل النازلين رأوك فخا

فما عادت نواياهم سليمة

فلوحتُ بخيباتي وقلتُ: الوداع لنخلة ظلت كظيمة

وداعا للأزقة

سوف أمضى

وداعا يا شوارعها السقيمة

معي قلقي وبين يدي هم ...

لمَنْ رحلوا أُغنِّي " يا حريمه (البديري، *2023*: 10)

من هذه الابيات قد نلاحظ ان الأفعال الكلامية الواردة في الابيات الشعرية وهي (تقول، عد، تنجو، توارت، رأوك، عادت، لوحت، ظلت، امضي، رحلوا) اظهرت لنا أجواء نفسية يعانيها الشاعر من كيد ارجال وكيد الزمان وقد حققت الافعال الكلامية غرض الإبلاغ، وتحقق غرض الانجازي في نقل الحقائق بأمانة، لأن البديري يصف واقعا محددا عاشه. استخدم الأفعال المضارعة (تنجو، توارت) لينقل لجمهور المتلقين مشاهد محددة تمثلت بالمتربصين والغادرين الذين يتربصون به بسبب الظلم والاضطهاد والحسد الذي لحقه من الزمن ومن صحبه. ويمكن للقارئ أن يتخيل مدى الالم والمعاناة التي تسببوا به للشاعر، كما يحكي الشاعر عن الوضع الجديد الذي فرضه. فالإنسان بطبعه الشريد قد يحقد ويغدر، ولكننا نجد الأمر قد تفاقم وتجاوز حده عند البديري، فلم يكتف بأسناد الغدر للإنسان فقط، بل يرى أن الدهر –أيضاً –يغدر به، بل أن الوفاء –يغدر به ولا شك أن المخلص من كل هذا هو الله –جلا جلاله –العدل المنقذ له من كل هذه الهموم. وقد حملت القصيدة أفعالاً كلامية متنوعة أظهرت تلك الأفعال قوى إنجازية مختلفة، ولكن اتفقت جميعها في البعد التأثيري وهو غدر الزمان والناس .

وإذا ما حاولنا أن نستكشف سياق ومقام هذه القصيدة، فإنها من خلال سياقها اللغوي تبدو وكأنها قصيدة اظهار علامات الحزن واليأس ، ولكنها في الدلالات المخفية كانها شكوى من الزمان وتغير الأحوال من الأفضل الى الاسوأ، وهذا السياق عبر عن مقصدية الشاعر بطريقة مباشرة على عكس ما ورد في القصيدة الأولى، ذلك أن الشاعر هنا في مكانة ومنزلة أراد ان ينقل صورة لمعانات مستمرة

لايعرف موعد انتهائها، فاستخدم أفعال الكلام المباشرة مبتعًدا عن الضمنية في معظمها؛ حتى يستطيع أن يوصل طلبه ورجاءه بشكل لا يحتمل الغموض أو التأويل، وقد وظف البديري في هذه القصيدة كلمات اللغة وما تحمله من إيحاءات من أجل إقناع المتلقي، ومن ثم ظهرت أفعال الكلام كوسائل ربط بين الشاعر والمتلقي، تجلت في إخباره وعملت جميعها متعاضدة متكاتفة على الوصول إلى الإنجاز الذي يريده الشاعر؛ ليصل به إلى درجة التأثير في المتلقي كما جاءت الأفعال التلفظية فيها إخبارا ووصفا، والأفعال الإنجازية في الأبيات تأكيدية بدرجات متفاوتةّ ذلك أن الشاعر يؤكد حقيقة الدهر الذي يمزج الفرح بالحزن، فيوم لك ويوم عليك ويوم سار ويوم حزين وبرز التأكيد

بدرجة أكبر مع التكرار للمعاني السلبية مثل(ضمد جراحك، فلن تنجو، وساوس ناظرين الى جريمة، فما عادت نواياهم سليمة، خيباتي، كظيمة، وداعا يا شوارعها السقيمة) أما الفعل التأثيري فمهمته كانت إقناع المتلقي.

النتائج

قد توصلت الدراسة إلى النتائج التالي:

1. الأفعال الكلامية أفعال قصدية، غير أن قصديتها لا تتعين إلا من سياق الحال الذي ترد فيه وكل ذلك يكرس الارتباط الوثيق بين الفعل الكلامي والواقع.

2. استجابة الديوان الشعري للشاعر البديري لمقتضى التداولية من جهة أفعال الكلام (التي هي أهم مرتكزاتها.

3. نظم الشاعر البديري في ديوانه وفق مجموعة من الأفعال الإنجازية والتأثيرية.

4. ومن اهتمامات التداولية دراسة اللغة المستخدمة، وكذلك طريقة استخدام العلامة اللغوية بنجاح، والسياق الذي يحدث فيه الخطاب. ومن أهم النظريات التي انبثقت عنها هي أفعال الكلام، والتي تعتبر من أبرز النقاط في الأعمال التداولية، والتي بموجبها يهدف كل لفظ إلى تحقيق غرض إنجازي مؤثر..

5. تعد الأفعال الإخبارية والتعبيرية هي الأكثر حضورا في النماذج المختارة. حيث كان موقف المخاطب أكثر وضوحا اتجاه قضية ما، ومدى أهمية إبلاغه أمر ما وتنوعت مقاصدها من إقرار الحقائق والتراجع الابتعاد والنتيجة والحكم وأخذ القرار.

المصادر

1. أبو زيد، نواري سعودي. (2009 م). *في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء*. سوريا: بيت الحكمة للنشر والتوزيع.

2. احمد، إسماعيل محمود محمد. (2022 م). «الصبر والجزع في شعر الطغرائي دراسة تحليلية». مجلة كلية الدراسات الإسلامية العربية للبنات بدمنهور، العدد 7، المجلد 5.
3. أحمد، نحلة محمود. (2002 م). *آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر*. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
4. اوريكيوني. (2007 م). *فعل القول من الذاتية في اللغة*. تر: محمد نظيف. الدار البيضاء: دار أفريقا الشرق.
5. بلانشيه، فيليب. (2007 م). *التداولية من أوستين إلى غوفمان*. ترجمة صابر الحباشة. اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع.
6. بوجادي، خليفه. (2009 م). *في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم*. الجزائر: بيت الحكمة للنشر والتوزيع.
7. بول، آن، وجاك موشلار. (2003 م). *التداولية اليوم علم جديد في التواصل*. ترجمة سيف الدين دافوس ومحمد الشيباني. مراجعة لطيف زيتوني المنظمة العربية للترجمة. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
8. بيرم، عبد الله. (2009 م). *التداولية والشعر قراءة في شعر المديح في العصر العباسي*. الأردن: دار مجادلاوي.
9. خيري البديري، حكايات من وحي القلق. دار المتن للطباعة والنشر. بغداد . العراق. 2023م.
10. صحراوي، مسعود. (2005 م). *التداولية عند العلماء العرب–دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي*. بيروت: دار الطليعة.
11. عطية، محمد علي.. (2007 م). *الاساليب النحوية عرض وتطبيق*. عمان. الأردن: دار المناهج.
12. علي، محمد محمد يونس. (2004 م). *مدخل الى اللسانيات*. بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.